♦♦♦

المحاضرة الحادية عشر(11): الاتجاه الصراعي الكلاسيكي والمحدث والإخفاق المدرسي

♦♦♦

المبحث الثالث- الاتجاه الصراعي الكلاسيكي والإخفاق المدرسي:

سنتطرق إلى تمهيد للاتجاه الصراعي، ثم نتطرق إلى الاتجاه الصراعي الكلاسيكي والإخفاق المدرسي.

المطلب الأول- أسس الاتجاه الصراعي:

تتّجه التيارات الماركسية إلى توصيف الفعل التربوي انطلاقا من خارج المدرسة دون الخروج عن كونها أداة للمجتمع. وقد بدأ هذا الاتجاه في الظهور خلال الخمسينيات، وازداد نشاطه من منتصف الستينات نتيجة لعوامل منها: النقد الذي تعرض له الاتجاه الوظيفي البنائي، وثورات الأقليات في أوروبا وأمريكا . ومن رواده بولز Bowles ، بورديو Bourdieu ، قولدنر Goldner، جنتيس Gintis، برنشتاين Bernstein وهوسن T. Husen

ويشير أنصار هذا الاتجاه إلى أن النظام التعليمي هو مرآة مصغرة، تعكس ما يدور في المجتمع المحيط به من مشكلات وصراعات، فجماعات القوة والثروة والسلطة في المجتمع تستغل المدرسة كمؤسسة اجتماعية لتحقيق أغراضها السياسية والاقتصادية والاجتماعية. (علي السيد محمد الشخيبي، 2002 : 57- 60). وقد تعددت الإسهامات التي يمكن إدراجها ضمن هذا الاتجاه بين كلاسيكي و محدث منها:

المطلب الثاني - الاتجاه الصراعي الكلاسيكي والإخفاق المدرسي :

يذهب المفكر الفرنسي "جورج سيدر Snyders George" إلى أن "اللامساواة الاجتماعية تشكل مصدرا لمختلف أشكال اللامساواة التربوية والمدرسية" (Georges synders,1976) ، وهو ينطلق في مقولته هذه من الأطروحة الماركسية المعروفة، التي ترى "أن المدرسة في مجتمع طبقي لن تكون ولا يمكن لها أن تكون إلاّ مدرسة طبقية". Boudon (R), (1975

ويرى أصحاب هذا الاتجاه، أن الاختلاف في التحصيل الدراسي والنجاح والرسوب ما هو إلا نتاج يعكس واقع وظيفة المدرسة في المجتمع الرأسمالي، ويرفض أصحاب هذا الاتجاه أن يكون إخفاق طلاب **الطبقات الفقيرة** في

التحصيل الدراسي هو نتيجة تخلف عقلي ذهني أو ثقافي، ويرون بأن المدارس تعامل التلاميذ حسب طبقاتهم الاجتماعية، وأن عدم المساواة بين الجماعات الاجتماعية، أدت إلى اختلاف نوعية المدارس – قطاع تربوي خاص و عام و مواصفات كل منهما من حيث الفعالية و الكفاءة - ، ويرى هؤلاء بأن المدرسة تقوم بتعزيز عدم المساواة بين التلاميذ عن طريق فتح قنوات لأبناء الطبقة الفقيرة للرسوب، ثم للدخول في الفصول تؤهلهم للتدريب المهني، في الوقت الذي يتم فيه تشجيع أبناء الطبقات الغنية للنجاح، ثم لمواصلة دراساتهم الجامعية والعليا بوضعهم في فصول خاصة، وإعطائهم مناهج تعدهم لذلك، و تفسح المجال للحراك الاجتماعي الصاعد.

كما يمكن في هذا الصدد ذكر بعض النظريات السوسيولوجية الحديثة للاتجاه الصراعي المحدث المفسرة للإخفاق المدرسي كنظرية (-بورديو – باسرون.) و نظرية ("روجيه استابليه" و "كريستيان بودلو") ..... و هذا يستوفي ماهو مطلوب في البرنامج لأن المجال لا يتسع لتناول جميع النظريات الصراعية و هي كثيرة جدّا.

...

المبحث الرابع- الاتجاه الصراعي المحدث (1) والإخفاق المدرسي:

سنتطرق إلى نظرية بيير بورديو – جان كلود باسرون كمقاربة ثقافية في الاتجاه الصراعي المحدث، ثم نتطرق إلى الاتجاه الصراعي الكلاسيكي والإخفاق المدرسي.

المطلب الأول- نظرية بيير بورديو – جان كلود باسرون كمقاربة ثقافية في الاتجاه الصراعي المحدث :

يوجد في أدبيات سوسيولوجيا التربية عدة أطروحات فيما يخص المقاربة الصراعية، كل أطروحة حللت الظاهرة التربوية انطلاقا من المقاربة الصراعية، وحاولت أن تبرز أدوات الصراع كأدوات فاعلة في تحرك دواليب الظواهر التربوية . كما تعددت الإسهامات التي يمكن إدراجها ضمن الاتجاه المحدث، نذكر من بين منظريها:

أغنى الباحث الفرنسي بيير بورديو السوسيولوجيا المعاصرة (1903-2002) (Pierre Bourdieu)) بمجموعة من المصطلحات والمفاهيم الإجرائية التي لا يمكن تجاوزها أثناء ممارسة البحث السوسيولوجي، أو مقاربة الظواهر المجتمعية والثقافية والتربوية نظرية وتطبيقا ورؤية، مثل: العنف الرمزي، وإعادة الإنتاج، والحقل الاجتماعي، و الهابيتوس، والرأسمال الثقافي، والبنيوية التكوينية، والمدى الحيوي، والتمايز، وسوق الخبرات الاجتماعية...

ومن جهة أخرى يعدّ **بيير بورديو** من أهم السوسيولوجيين الفرنسيين الملتزمين في منتصف القرن العشرين، وهو من طبقة اجتماعية عمالية عادية، ومن أهم رواد البنيوية التكوينية، وكذلك يحمل رؤية ماركسية نقدية جديدة، (Bourdieu, 1987, 229 p Pierre) ، تكشف واقع الهيمنة و السلطة والتمركز الطبقي. و قد ألّف أكثر من أربعين كتابا، وأكثر من مائة مقال. **وقد انصب اهتمامه كثيرا على الطريقة التي يعيد بها المجتمع إنتاج التراتبية الطبقية نفسها، بالتركيز على العوامل الثقافية والرمزية، بدل التشديد على العوامل الاقتصادية التي كانت لها أهمية معتبرة في المقاربة الماركسية الكلاسيكية**. ويعني هذا أن السوسيولوجيا عند "**بورديو**" هي سوسيولوجيا علمية انتقادية، تسعى إلى كشف واقع الهيمنة والقوة والنفوذ، وانتقاد المجتمع الليبرالي المعاصر الذي يتميز بالظلم واللامساواة وصراع الحقول والطبقات الاجتماعية. بمعنى أن السوسيولوجيا هي أداة فعالة للنقد الجذري، وكشف المضمر، واستنطاق المسكوت عنه، وفضح لعبة التنافس والهيمنة، كالعلاقة الترابطية الموجودة - مثلا- بين النجاح المدرسي والأصل الاجتماعي والرأسمال الثقافي الذي ترثه الأسرة، بعد أن كان هذا النجاح مرتبطا بالذكاء الوراثي. بل إن الحقل العلمي هو أيضا مجال للتنافس والسيطرة والسعي لتحقق الأرباح، والحصول على الجوائز المادية والمالية (جائزة نوبل)، وتحقيق السبق العلمي، والظفر بالمجد والشهرة.(جميل حمداوي،2015)

لقد تناول "**بيير بورديو**" مفهوم إعادة الإنتاج بالتحليل والدراسة والتقويم، حينما ركّز اهتمامه السوسيولوجي على النظام التربوي الفرنسي مع صديقه جان كلود باسرون(Jean-Claude Passeron)، في كتابهما (**إعادة الإنتاج**)، منذ سنوات الستين من القرن الماضي، (Pierre Bourdieu et Jean-Claude Passeron, 1964, p : 183.) إذ كانت هذه الفترة مرحلة التطور والازدهار العلمي والمنهجي لسوسيولوجيا التربية.

ويمكن القول بأن "**بيير بورديو**" و "**كلود باسرون**" هما اللذان أعطيا ولادة ثانية لسوسيولوجيا التربية، وقد انطلقا من فرضية سوسيولوجية أساسية، تتمثل في كون المتعلمين لا يملكون الحظوظ نفسها في تحقيق النجاح المدرسي، ويرجع هذا الاختلاف إلى التراتبية الاجتماعية، والتفاوت الطبقي، ووجود فوارق فردية داخل الفصل الدراسي نفسه.

ومن ثم فقد قادت الأبحاث السوسيولوجية والإحصائية "**بورديو**" و "**باسرون**" إلى استنتاج أساسي هو: أن الثقافة التي يتلقاها المتعلم في المدرسة الفرنسية الرأسمالية ليست ثقافة موضوعية أو نزيهة ومحايدة، بل هي ثقافة

مؤدلجة تعبر عن ثقافة الهيمنة وثقافة الطبقة الحاكمة. و من ثم فليست التنشئة الاجتماعية تحريرا للمتعلم، بل إدماجا له في المجتمع في إطار ثقافة التوافق والتطبيع والانضباط المجتمعي؛ وبالتالي تعيد لنا المدرسة إنتاج الطبقات الاجتماعية نفسها عن طريق الاصطفاء والانتقاء والانتخاب؛ ومن ثم فهي مدرسة اللامساواة الاجتماعية بامتياز. (خالد المير وآخرون، 1995: 15-16)

و انطلق "**بورديو**" من مفهوم الرأسمال الثقافي، حيث فرض هذا الأخير "نفسه بداية بأعمال بورديو كفرضية ضرورية للإلمام بانعدام المساواة المدرسية للأطفال القادمين من مختلف الطبقات الاجتماعية، وذلك بربط النجاح المدرسي بالرأسمال الثقافي بين الطبقات والفئات الاجتماعية" (بيار بورديو وجان كلود باسرون، 2007: 35)

ومنه فالمدرسة تبقى السبيل الأوحد والوحيد لولوج الثقافة (العالم الثقافي)، وهذا في كل المستويات الدراسية، فالطلبة يختلفون بمجموع الاستعدادات والمعارف والثقافة القبلية التي تعود إلى وسطهم الاجتماعي، فهم إذن ليسوا متساويين في اكتساب الثقافة المدرسية، بمعنى أنه كلما كانت المسافة بين ثقافة المدرسة وثقافة وسط الانتماء قصيرة - وهي ثقافة مرتبطة بالتنشئة الاجتماعية- ؛ كلما كان النجاح في المؤسسة المدرسية مرتفعا، وكلما كانت المسافة طويلة؛ كانت سببا في الفشل في المؤسسة التربوية والانسحاب منها. (بيار بورديو وجان كلود باسرون، 2007: 35)

ويكشف "**بورديو**" أن أبناء الطبقات العليا لهم **رأسمال ثقافي** موروث من عائلاتهم، ويتكون من رصيد ثقافي مستبطن في شكل أدوات فكرية، وبفضل التفاعلات التي تتم داخل أسرهم؛ فإن أبناء الفئات الميسورة يبرهنون على مستوى من النمو العملي المبكر، وكذلك الشأن بالنسبة **للرأسمال اللغوي** الأكثر تلاؤما مع متطلبات المدرسة، وهذا الرأسمال متموضع داخل بيئة هؤلاء الأطفال، ومتمثل في الكتب و الأعمال الفنية، والأجهزة المعلوماتية والسفريات، ووسائل الإعلام. كل هذه العناصر تشكل محيطا ملائما للتمرن والتدرب، و هذه العوامل تفسر النجاح المدرسي للأطفال المنحدرين من هذه الطبقة.

بينما الأطفال المنتمون للطبقات الفقيرة، والذين لا يتوفر لديهم هذا الرأسمال الثقافي و الرأسمال اللغوي .....نجد ملكتهم المعرفية تكاد تكون معدومة؛ وبالتالي يصعب عليهم التواصل ومسايرة المنظومة التعليمية؛ مما يؤدي إلى فشلهم الدراسي ومن ثم التسرب من المدرسة. (بيار بورديو وجان كلود باسرون، 2007: 37)